

## نموذجان من لعبة اليمين واليسار

« ان الانتماء اليساري يبدأ  
من الايمان بالعلم وينتهي الى  
الدعوة للاصلاح الاجتماعي...  
ويخلط المنتمي الى اليمين بين  
العروبة والاسلام » !!

غالي شكري ( القبطي )  
مجلة ( العلوم ) العدد السادس -  
السنة التاسعة .

رأينا في الحلقات السابقة من هذا البحث سخف فكرة اليمين واليسار، وتفاهة القائمين عليها من حيث أنهم أدوات بأيدي (الكبار) يحر كونهم كما يشاءون، فيقتلون، عن طريق اثاره ضجيج الصراع بين اليمين واليسار، المعالم الأساسية للصراع الأكبر بين الحق والباطل، أو بين الاسلام والجاهلية. كما رأينا أن هؤلاء المتصارعين (الصغار) ليسوا - على أحسن حال - أكثر من مقلدين محليين لما يدور على النطاق العالمي من صراع. والتقليد - بأي شكل من الأشكال - لعبة خطيرة يجب أن يتجنبها الباحثون - يجد - عن الخلاص، وأن يعرفها أصحاب العقائد على حقيقتها كيلا يضيعوا في زحام المصطلحات. وعرفنا كذلك أن الصهيونية والاستعمار أفادا كثيراً من هذه (المهزلة) في واقع حياتنا الراهنة، ومن ثم سعوا، ووراؤهم حشد من العملاء والمقلدين وأنصاف المثقفين، إلى تعميق مهزلة الصراع اليميني اليساري هذه، والدخول بها - قسراً - إلى ساحة التاريخ الاسلامي.

وفي هذه الحلقة - الأخيرة - نريد أن نستعرض نموذجين لمعطيات هؤلاء الذين بهم تمت اللعبة، وفوجيء اللاعبين العرب يحيوش صهيون تفسد خطاها صوب السويس والأردن وهضبة الجولان. وهذه المعطيات يعود بعضها إلى سنين طويلة مضت، ويعود بعضها الآخر إلى ما بعد نكسة الخامس من حزيران. وأصحابها لا ينفردون بوجهة نظرهم هذه، بل إن هناك أعداداً كبيرة ينسجون على هذا المنوال بيوتاً وأفكاراً كنسيج العنكبوت

« وإن أوهن البيوت لبیت العنكبوت لو كانوا يعلمون » . وسنرى ما يؤيد القول بأن القضية ليست سوى انعكاس لأهداف الدول الكبرى والقوى العالمية في المنطقة، وبخاصة الاستعمار والصهيونية، أو أنها - على أحسن حال - ضجيج متمعد لتضييع معالم الصراع الأصيل بين الاسلام والجاهلية ، ولتمرير المؤامرات الكبرى في عالمنا الاسلامي .

النموذج الأول ننقله عن مقالة للكاتب اليساري المصري ( غالي شكري ) نشرتها مجلة ( العلوم ) اللبنانية في عددها السادس من السنة التاسعة .. وقد جاء فيها « اليمين غالباً هو ذلك الموقف المتدين المستقر على جدران السقف ( ! ! ) واليسار دائماً هو ذلك الموقف العلمي من الدين والمجتمع ( ! ! ) أي أن الدين عند اليميني واليساري على السواء هو نقطة البداية ( ! ! ) في قضية الانتعاش . وهو وضع يخص الحضارة العربية بالذات لأن المسيحية في الغرب - هي من ناحية - بضاعة مستوردة من الشرق ، ومن ناحية أخرى لا تثبت طويلاً أمام تحديات العلم الأوربي، وانعدام الايمان بها - ثالثاً - لا يهدد أنظمة الحكم القائمة حديثاً، ولا يضع المواطن الغربي في صف اليسار . أما نحن فالأمر يختلف إلى حد كبير . ان التدين من العناصر الأصيلة في تكويننا الحضاري ، والتدين أحد الأسلحة الخطيرة في أيدي اليمين، لهذا كان المنتمي إلى اليسار في موقف رد الفعل من الدين والمتدين معاً وبصفة دائمة ، إنه يجد نفسه وجهاً لوجه أمام نقطة شائكة وهي أن

أدوات التغيير ليست صناعة محلية ( !! ) إنه في مأزق لم يعرفه الثوري في الغرب ، وهو مأزق نفسي مرير . فبينما يتسلح الأوروبي بالماركسية - وهي صناعة أوروبية - في وجه الدين المسيحي - وهو بضاعة مستوردة - يفاجأ الثوري في الشرق بأنه يقف في الطرف المقابل يستورد العلم ونظريات التغيير من أوروبا، ليواجه حضارة متدينة من آلاف السنين (!!) لهذا يكون موقف المنتمي إلى اليسار في بلادنا هو رد فعل لجوهر هذه الحضارة، وردود الفعل تتسم بالتضخم والانفعال والمبالغة . ومن ثم يصبح الموقف من الدين هو نقطة البدء عند اليساري العربي . وليس كذلك موقف المنتمي اليميني من الدين ، لأنه يرى فيه - منذ البداية - مسنداً مريحاً للكسل العقلي ، وعاملاً خطيراً في توطيد مصالحه الاجتماعية ( 11 ) فأغلبية الجماهير الشعبية متدينة وجاهلة وبالتالي يمكن الاعتماد عليها من هذه الزاوية ، خاصة إذا كانت هي الهدف في الاستقلال الاجتماعي - ص ٦٦ من المجلة المذكورة - ويمضي غالي شكري - وهو مسيحي بطبيعة الحال والدين الذي يعنيه هو الاسلام بطبيعة الحال - يمضي قائلاً « ذلك أن الدين كان وما يزال مؤسسة قوية من مؤسسات اليمين - ص ٦٧ - » « هناك أزمة حقيقية اذن في حياة المنتمي إلى اليمين هي افتقاره الى بناء عقائدي متكامل من شأنه أن يعطي حلولاً لتغيير الواقع من حوله (11) وهي أزمة مرحلية تجاوزها اليميني بعدئذ حين ارتدى في أحضان الفاشية العنلية سواء في جناحها المتدين ( الاخوات

المسلمون) أو في جناحها القومي ( مصر الفتاة ) . وهناك أزمة حقيقية في حياة المنتمي إلى اليسار هي أنه يفترق من الفلسفة البورجوازية (!!) ما يعينه على الوقوف أمام حضارة كاملة في حاجة إلى التغيير من الداخل، من حيث الجوهر - ص ٦٨-٦٩ « ويصل غالي شكري إلى القول بأن « مما يزيد موقف اليساري العربي تعقيداً أنه يرتبط باليسار السياسي عن طريق الفكر فهو يرى في النظريات المادية العلمية (!!) حلولاً لأزمته الشخصية ، وأزمته الشخصية الأولى هي الصراع بين الدين والواقع » ثم ما يلبث الكاتب أن يذكر ، في معرض تحليله أن « هنالك مناقشات حامية لا تنتهي بين اليساري المؤمن بالعلم واليميني المؤمن بالله . وتحجب الرؤية الاجتماعية القاصرة ... ماتؤكدده حركة المجتمع من انتصارات إلى جانب العلم والاشتراكية ، بغض النظر عما يمكن أن تؤدي إليه هذه الانتصارات من كشف لأوراق الدين والميتافيزيكا (!!) . فاليساري - بعد مرحلة رد الفعل - ينظر إلى الدين نظرة جديدة . انه يراه معوقاً للحركة الثورية بلا شك ، ولكنه يحاول ألا يجعل منه قضية أساسية في زمن معين وبين الجماهير الشعبية بالذات (١١) . فالأهم هو القضاء على الاستغلال الاجتماعي الذي يؤدي بدوره إلى القضاء على الاستغلال العقلي (١١) - ص ٧١ - . فاذا ما عدنا للتنقيب في المقالة المذكورة ثانية فان عبارة أخرى لا بد وأن تلفت انتباهنا ، تلك هي « أن الانتفاء اليساري يبدأ من الايمان بالعلم وينتهي إلى الدعوة للاصلاح

الاجتماعي ... ويخلط المنتمي إلى اليمن بين العروبة والاسلام ...  
- ص ٦٨ - ، وذلك هو بيت القصيد ، ولن نزيد ١١

أما النموذج الثاني - الذي أردناه دليلاً على لعبة إقحام اليمن واليسار في تاريخنا الاسلامي - فهو منقول عن نشرة داخلية - صدرت في سوريا ، بعنوان ( من يحرك التاريخ ؟ ) وتم توزيعها على العناصر الحزبية في المعسكر التثقيفي لاتحاد طلبة سوريا المنعقد في ( كسب ) من ١٠ إلى ٣١ تموز ١٩٦٨ (١١) . جاء في المقطع الأول من تلك النشرة ( ص ٥ ) : نضال الجماهير العربية ودورها في تثبيت أسس الاسلام كحركة اجتماعية واقتصادية : ان الاسلام هو أعظم ثورة حتى ذلك التاريخ (١١) ثورة تقدمية قادها ذلك الرجل العظيم الفذ والقائد المهنك المجرّب الواسع الادراك الذي استطاع أن يشخص ذات أمته ، والذي نفذ إلى قلب المجتمع العربي وعرف كل ما فيه من أمراض ووصف له بعض العلاج (١١) . ولا غرابه في ذلك فمحمد ابن مجتمعه ، ابن الطبقات الكادحة المظلومة التي كانت تعازي في كل لحظة ظلم أثرياء قريش ، وظلم العادات والتقاليد الزائفة التي شاخت وعفى عليها الزمن . وكان لا بد من ثورة لتقلب أسس المجتمع العربي لصالح الفقراء . فكان فقيراً منهم قاد هذه الثورة إلى النصر . وقد وصفه الله بالقرآن ( وجدك يتيماً فأوى ووجدك ضالاً فهدى ، ووجدك عائلاً فأغنى ) ولذا ( فأما اليتيم فلا تقهر ، وأما السائل فلا تنهر )

(١) أنظر مجلة الشهاب ، السنة الثانية العدد ١٨ يشرين أول ١٩٦٨ .

فقد أدرك محمد علل المجتمع وتناقضاته ، وفتش عن الداء وحاول وصف الدواء ليقلب أسس المجتمع وتطوره . وجد محمد أن أولى آفات المجتمع هو الاثراء الفاحش والاستغلال والعبودية والربا وظلم المرأة . وحاول وصف علاج لكل آفة حسب مفاهيم المرحلة التي كان يمر فيها المجتمع في ذلك الحين ( ١١ ) . فبالنسبة لارستقراطية قريش أول ما بدأ بها ( الذين يكتزون الذهب والفضة ) ( وتآكلون التراث أكلا لما ، وتحبون المال حباً جماً ) . فهم والحالة هذه أثرياء يحبون المال ويميشون له ليكتنزوه ويكسدونه على حساب الفقراء والمساكين ، فهم يختلفون والحالة هذه عن أولئك الذين ( يطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيمماً وفقيراً )<sup>(١)</sup> . وجمع محمد حوله كل فقراء مكة ، ولم ينخرط في الدين الجديد بادىء الأمر من الأثرياء إلا عثمان بن عفان ، وبقي الفقراء هم حملة الاسلام وعموده الفقري حتى أواسط الفترة المدنية ، مما جعل أثرياء مكة ذوو العقلية اليمينية يعيرون محمداً بققر أتباعه ويزدرونه ومذهبه وأتباعه ( وما نراك أتبعك الا الذين هم أراذلنا ) ، كون الفقير عندهم هو الأردل والمحتقر ( قالوا أنؤمن لك وأتبعك الأراذلون ) ؟ . إن مجتمهم يعطي المرء قيمة من خلال ملكيته وثروته ... قاد محمد هؤلاء الفقراء ، وحاول أول ما حاول انصافهم اقتصادياً ففرض ( ١١ ) الزكاة على الأغنياء لانقاذ الفقراء ( انما الزكاة للفقراء والمحتاجين ) علته بهذا يحسن

(١) هذه الآية وما يليها ننقلها كما وردت في النشرة التثقيفية ١٩

أحوالهم فيها هو يجمع الضرائب من الأغنياء ليسد بها حاجة الفقراء ، فهو أمين لطبقته يحب لها مخلص في خدمتها . لذا فكل التقاليد الطبقية والاجتماعية القائمة يجب هدمها واحلال شعارات العدالة والمحبة والسلام محلها ( انما خلقناكم من ذكر وأنثى لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ) . ولم يكتب محمد بمساعدة الفقراء من الزكاة انما منعه الربا ، ذلك السم الزعاف الذي يستنزف جهودهم وتعبهم ( يحق الله الربى ويربى الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم ) بهذا أراد محمد القضاء على الآفة الاجتماعية الثانية التي هي الربا ... » .

وليس لعاقل ان يناقش افكارا كهذه ، سواء طرحها فرد أم طرحها حزب ، لما فيها من تهافت واضطراب واقتسار لحقائق الصراع ، وطبيعة الحركات في الشرق العربي . وما كان الهدف من هذا الاستعراض السريع لبعض النماذج هو النقاش ، وانما العرض المجرد لبعض الأقلام اليسارية وهي تخط محلة الصراع بين اليسار واليمين ، وفق ما تلمي عليها اليد التي تمسك بها . وتترك الأقلام اليسارية هذه ، ومثات غيرها ، تسيطر اليوم على مثات من الصحف والمجلات والنشرات وأجهزة الأعلام ، تترك أصحابها جميعاً يقولون ما يشاؤون ، ويملأون بالضجيج آذان العرب ، وبالهاء أفئدتهم فليس لمسلم جاد أن يضيع وقته في مناقشة هذه التفاهات .

لكن ... ثمة اسئلة كثيرة يمكن أن توجه إلى كل من أسهم ويسهم ، في لعبة اليسار واليمين هذه . . اسئلة تحدّ لن تجد جوابها - أبداً - من أفواه أصحابها ، لأن القناع الذي لبسوه يوم بايعوا على اللعبة لا يمكن أن يسقطوه باختيارهم ، ويظهروا أمام أمتهم على حقيقتهم ... الا أن ( التاريخ ) له حكم آخر.. إنه يُسقط الأقنعة ويعرّي المهرجين ، ويلوي سواعد الذين يريدون أن يمنعوه عن أداء مهمته . . إنه بمنطقه القوي الذي لا يحابي ، يعرض على الشعوب والأمم ، يوماً بعد يوم ، صوراً متكررة ( ليهودا ) الذي خان يومها سيده المسيح - عليه السلام - ، وهو مستعدّ - دائماً - للخيانة ، بمجرد أن يلوح لعينيه بريق الذهب ، وإغراء المناصب والدنانير !!